انتخاب روحاني: هل وعد بالتغيير أم سير على نفس المنوال؟

محمود مونشيبوري

باحث سياسي

الملخص:

يعد انتصار روحاني في الانتخابات الرئاسية الإيرانية عام 2013 احتجاجًا واضحًا على علاقات الإدارة السابقة بالعالم الغربي. فعلى الرغم من أن دعم روحاني للحريات الاجتماعية، ودفاعه عن حقوق المرأة جعلاه المرشح المفضل للتغيير، إلا أنه مما لا شك فيه أن انعدام الأمن الاقتصادي، الناجم عن العقوبات التي فرضها العالم الغربي على إيران بسبب البرنامج النووي الإيراني كان عاملاً رئيسًا أيضًا في فوزه. لكن بما أن حسن روحاني يدين بالولاء في نهاية الأمر للمرشد الأعلى، فلا يزال هناك تساؤل يطرح نفسه: هل انتخاب رئيس إصلاحي يبعث على أمل زائف أم على أمل حقيقي؟ سيتعين علينا أن ننتظر ونرى ما إذا كانت رئاسة روحاني يمكن أن تقدم منظورًا جديدًا يختلف عن نهج الماضي العقيم.

لقد حقق حسن روحاني نصرًا مدويًّا في الانتخابات الرئاسية الإيرانية في 14 يونيو، التي شارك فيها ما يقرب من 36.7 مليون ناخب إيراني؛ أي ما يعادل 72 في المائة من أصوات الناخبين. وحصل على 18 مليون صوت، أي ما يقرب من 51 في المائة من مجموع الأصوات. لذا، يعد انتصار روحاني، رجل الدين الوحيد من مرشحي الرئاسة الستة، إشارة واضحة إلى رفض نهج إدارة أحمدي نجاد فيما يتعلق بعلاقات إيران مع العالم الغربي، بما في ذلك قضايا السياسات النووية. لقد تحقق هذا الفوز الساحق بفضل أصوات الإصلاحيين والمعتدلين. أيضًا أيد الرؤساء السابقون حسن روحاني، كرفسنجاني وخاتمي الإصلاحيين، في اللحظة الأخيرة. ويعتقد العديد من الخبراء أن هذا الفوز كان انتصارًا لنموذج عملي وناشط لسياسة المعارضة في إيران.

إن دعم روحاني لحريات اجتماعية واسعة، وانتقاده للتوريق في إيران، ومناداته بحقوق المرأة جعلته المرشح المفضل للتغيير. ومع ذلك، لا جدال أن انعدام الأمن الاقتصادي الناجم عن العقوبات التي فرضها الغرب بسبب البرنامج النووي الإيراني – كان عاملاً رئيسًا في فوزه. لقد كان الاعتدال شعار حملة روحاني الانتخابية، مع وجود رسالة واضحة بتحقيق انفراجة إقليمية وحوار مفتوح مع الغرب. لذا، يبدو أن حسن روحاني عازم على إصلاح الخلافات العالقة مع الحكومات

رؤية تركية
2013 - 8
114 - 109

وبما أن حسن روحاني من جوهر النظام فإنه على دراية بجميع الأعمال الداخلية لمؤسسات الحكم الإيراني، ومن المرجح أن أسلوبه البراغماتي سيهمش الفكر المتطرف والمواقف الأيديولوجية الجامدة

العربية الإقليمية وتركيا، والتخلص من العزلة التي فرضتها على نفسها.

أيضًا سيكون لتحسين العلاقات مع المملكة العربية السعودية انعكاسات كبيرة على العديد من المناطق غير المستقرة في المنطقة، ولا سيما أفغانستان والعراق وسوريا. فالحرب الدائرة في سوريا بالوكالة، حولتها إلى ساحة للمنافسة بين المملكة العربية السعودية وإيران. كذلك أوضح روحاني، خلال الحملة الانتخابية، أنه يجب على إيران الانخراط في مفاوضات جادة مع العالم الغربي، وتغليب مصلحتها الوطنية، ورأى أن عليها جعل أولوية اقتصاد البلاد ورفاهية الشعب فوق البرنامج النووي.

من هو روحاني؟

ولد روحاني عام 1948 بالقرب من شمال شرق محافظة سمنان الإيرانية، ودرس الدين في سن مبكرة. وخلال فترة المراهقة، تأثر بالعلماء الشيعة البارزين. حصل على درجة البكالوريوس في القانون القضائي من جامعة طهران وعلى شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة غلاسكو كاليدونيان في إسكتلندا. بدأ حياته السياسية في الستينيات؛

مؤيدو الرئيس الإيراني روحاني أثناء الانتخابات الرئاسية

كأحد أتباع آية الله الخميني، وبعد خلع شاه إيران في عام 1979، لعب روحاني العديد من الأدوار الرئيسة في الجمهورية الإسلامية. وكان على علاقة وثيقة بالمؤسسة الدينية الحاكمة، وحافظ على علاقات متوازنة مع كل من الإصلاحيين والمحافظين.

وكمؤيد مخلص للخميني، عمل روحاني في الحكومة الإيرانية لعقود في مجالات عدة، منها: عضو في البرلمان (1980-2000)، وأمين عام للمجلس الأعلى للأمن القومي (1989-2005)، وعضو في مجلس الخبراء (1990 إلى الوقت الحاضر). وعلاوة على

سينجح روحاني في تجنب الشوفينية والغلو في الوطنية والخطابات الشديدة اللهجة أو الدعاية التي لا هوادة فيها والتي تذكرنا بنهج إدارة أحمدي نجاد في مواجهة الإمبريالية

ذلك، عمل روحاني في الهيئة الاستشارية للمرشد الأعلى، وترأس مركز مكتب الأبحاث الإستراتيجية. وباعتباره من جوهر النظام، فإنه على دراية بجميع الأعمال الداخلية لمؤسسات الحكم الإيرانية. ومن المرجح أن يهمش أسلوبه البراغماتي الفكر المتطرف والمواقف الأيديولوجية الجامدة، حيث إنه يتمتع بدعم شعبي.

الإصلاحي الصاعد

قدم روحاني نفسه على أنه حامل لواء الحركة الإصلاحية في إيران، وهي الحركة التي تم قمعها خلال الانتخابات الرئاسية المتنازع عليها عام 2009. وعلى الرغم من أن حسن روحاني لم يتحدث صراحة أو يهاجم القمع الوحشي ضد أنصار وقادة الحركة الخضراء لعام 2009، إلا أنه دعا مؤخرًا إلى إطلاق سراحهم من الإقامة الجبرية، والإفراج عن مرشَحي الرئاسة السابقيَن مير حسين موسوي ومهدي كروبي. لقد بعث انتخابه وسط الاقتصاد المتداعي والمجتمع الذي يقيد الحقوق المدنية والسياسية الأمل في المنطقة، فضلًا عن كونه فرصة فريدة من نوعها لكسر الجمود في علاقة إيران مع العالم الغربي. عمومًا، تظهر نتائج الانتخابات أنها ستصب في صالح المفاوضات حول البرنامج النووي الإيراني. لكن هل انتخاب إصلاحي آخر –يذكرنا بعهد خاتمي– يبعث على أمل زائف أم أمل حقيقي؟

في وجه القوى الراسخة

على الرغم من أن هيكل السلطة في إيران يميل نحو المرشد الأعلى، و نادرًا ما يفضل ميزان القوى الرئيس، إلا أن نتائج الانتخابات أظهرت موجة من دعم التغيير. لكن هل سيكون الرئيس الجديد قادرًا

على مواجهة رجال الدين الذين يحكمون والحرس الثوري الذين ما زالوا يسيطرون بقوة على البرنامج النووي الإيراني والشؤون الخارجية؟ الجواب القصير هو "لا"، بسبب سيطرة المرشد الأعلى في إيران على كل مقاليد السلطة. لكن مع كل هذه التحديات أعرب الشعب الإيراني بشكل واضح عن رغبته في الإصلاح.

ويرجع استياء الرأي العام إلى الاقتصاد الإيراني الهزيل؛ فقد ارتفعت أسعار المواد الغذائية والسلع الأساسية، أيضًا ارتفع معدل التضخم، ليصل إلى 32 في المئة، كما بلغ معدل البطالة 18 في المئة، وانخفضت قيمة العملة الإيرانية (الريال) بنسبة 80 في المئة خلال العامين الماضيين، وانخفض إنتاج البلاد من النفط من 2.5 مليون برميل يوميًّا قبل ثلاث سنوات إلى أقل من 1 مليون برميل يوميًّا الآن.

قد يبدو أن هناك بداية جديدة حقيقية، إلا أن الحقيقة هي أن الرئيس المنتخب حسن روحاني ورث إرثًا أكثر تعقيدًا مما ورث أسلافه. فقد شهدت مناطق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا انتفاضات وثورات عربية لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة الحديث. كما أن سوريا، حليف إيران الوحيد في العالم العربي، تخوض الآن حربًا أهلية، يرى البعض أنها بدأت عام 2011 مع الانتفاضات الشعبية التي اجتاحت منطقة الشرق الأوسط. لكن يبدو أن النخب الحاكمة في إيران اختارت دعم نظام بشار الأسد مهما كلف الأمر، مما أدى إلى نشوب خلافات واضحة بين حماس

ان دعم روحاني لحريات اجتماعية واسعة، وانتقاده للتوريق في إيران، ومناداته بحقوق المرأة جعلته المرشح المفضل للتغيير.

وإيران من جهة، وحماس وسوريا من جهة أخرى.

أما "ثورة اللؤلؤ" في البحرين التي شهدت احتجاجات سلمية ضد البطالة والتمييز والفساد، والتي قادتها الأغلبية الشيعية، فقد تم سحقها. في حين أن ما يسمى بـ"الربيع العربي" أدى بالفعل إلى سقوط رؤساء الدول في تونس ومصر واليمن وليبيا، وكان له آثار جانبية خطيرة غيرت المشهد السياسي في المنطقة برمتها. هذا التغيير الجذري لم يأت به الثوار التقليديون، أو الأصوليون المتطرفون أو الجيش، ولكن أتى به الشباب المتعلمون، والطبقة المتوسطة ونشطاء حقوق الإنسان والمحامون والمدونون والمثقفون في تلك المنطقة؛ فقد خرجوا مطالبين بالحرية والكرامة والأمن الوظيفي والعدالة الاجتماعية.

إنهاء المواجهة النووية

من غير المحتمل أن يغير روحاني مستشار الأمن القومي السابق ورئيس المفاوضين النوويين في عهد خاتمي، موقف إيران النووي. فهو مؤيد قوي للبرنامج النووي، وخاصة في أعقاب معارضة الغرب ومقاومته، كما أنه متحمس لتحسين علاقات إيران مع الولايات المتحدة، على الرغم من

لا يـزال ثَمّـة تسـاؤل يطـرح نفسـه: هـل يتمتـع روحانـي بالشخصيـة المثابرة لتحقيق تغير ملموس؟

انـه ليس في وضـع يمكنه مـن التفاوض على صفقة ما، ولا سـيما أنه لا يملك سلطة كبيرة عـلى أنشطة إيـران النووية. لكنه سـينجح في تجنب الشوفينية والغلو في الوطنية والخطابات الشديـدة اللهجـة أو الدعايـة التـي لا هوادة فيهـا والتي تذكرنـا بنهـج إدارة أحمدي نجاد في مواجهـة الإمبريالية. وبـصرف النظر عن المشكـلات الهيكلية والنظاميـة التي يواجهها كرئيـس للبـلاد، لا يـزال ثَمّة تسـاؤل يطرح نفسـه: هل يتمتع روحاني بالشخصية المثابرة لتحقيق تغير ملموس؟

عنـد الحديث عـن العداء بـين الولايات المتحـدة وإيـران، "الجرح القديـم الذي يجب علاجـه"، ألمح روحاني إلى تحسـين العلاقات بين البلدين. لكـن في المقابل، يجب على إدارة أوبامـا أن تـرد بالمثـل مـن خلال تبنـي لهجة تصالحية، ومد يد الصلح وتخفيف العقوبات الاقتصاديـة. ولا شـك أنـه مع تعقـد الأزمة السـورية، واسـتعداد قـوات حلـف شـمال الأطلسي للانسـحاب من أفغانسـتان في عام 2014، سـيصبح لإيـران دور معـترف بـه. وبالنظر إلى أن حسن روحاني تحدث في الفترة الأخـيرة عن الانفراجـة الإقليمية، فإن هناك فرصة سـانحة أمام الولايـات المتحدة لجعل الحكومـة الإيرانيـة الجديدة تلعـب دورًا بنّاءً في سورية.

أمـا إنهاء الجمـود النووي مـع الغرب في المسـتقبل القريـب، فيعتـبر التحـدي الأكـبر الـذي يواجـه إدارة روحـاني، وذلك بسـبب العلاقة المباشرة بـين العقوبات والصعوبات الاقتصاديـة في البـلاد. عـلى كل حـال، دفع زخـم هذه الانتخابات حسـن روحـاني لبدء محادثات مباشرة مـع الولايات المتحدة. لكن عـلى الرغم من أنه يجب الحفـاظ على التفاؤل بشـأن التغيير الذي طرأ على القيادة في إيران، إلا أن الوقـت قـد حان للعمل وبناء جسـور الثقة مع هذه الإدارة الجديدة في إيران.

لكن من عدم الإنصاف أن تحرم الولايات المتحدة إيران من أي اسـتخدام للتكنولوجيا النووية المدنية، أو تمنعها من امتلاك أي قدرة نووية سلمية، على فرضية أنه بمجرد الحصول عـلى المعرفـة الأساسـية لهـذه التكنولوجيـا، فمـن السـهل اسـتخدامها لأغـراض قتالية. لقـد أعلـن روحـاني أن إيران لديهـا مبررات مشروعـة وغير عسـكرية لبرنامجهـا النووي. لـذا فـإن مهمتـه الآن التوصـل إلى انفراجـة إسـتراتيجية في مواجهـة الضغـوط المتزايدة، في الداخـل والخـارج عـلى حـد سـواء. فهو يـدرك حقيقة أن تقديم تنازلات أمر لابد منه لكسر الجمود. وهذا يعني أن إيران سـتعطي كل الضمانـات اللازمة (بما في ذلك التفتيش) للوكالـة الدوليـة للطاقـة الذريـة (IAEA) لتوضيح أنـه لن يتم تحويـل برنامجها النووي لأغـراض عسـكرية. في المقابـل، يتعـين على الفريـق المفـاوض مجموعـة «الخمسـة زائـد

واحـد» الاتفـاق على حد معـين من تخصيب اليورانيـوم، يرضي جميع الأطراف المعنية، مع تخفيف العقوبات.

التحـدي الداخلي شـاق أيضًا؛ فـإذا عزم روحاني على سحب القضية النووية من قبضة المتشدديـن، إذن لابـد أن تمنحـه مفاوضـات «الخمسـة زائد واحد» هـو وفريقه التفاوضي ضمانـات وإغراءات ملموسـة. ينبغـي أيضًا بنـاء الثقة؛ مثل التزام الولايات المتحدة بعدم فرض عقوبات أو اسـتخدام القوة ضد إيران واستئناف العلاقات الثنائية حول أفغانستان والعراق وسـوريا. إن نهج الولايات المتحدة السـابق تجاه إيـران، الذي يعتمـد على العصا أكثـر مما يعتمد عـلى الجزرة سـيؤدي حتمًا إلى أزمـة ويعرقـل أي حل. وقـد صرح روحاني مـرارًا وتكـرارًا أن أي حـل دائـم ومعقـول للمـأزق النـووي الإيراني هـو أفضل من أي بديل آخر.

وعـلى الرغم مـن أن هناك مـا يدعو على التفاؤل، إلا أن ذلك نادر الحدوث في الذاكرة الحديثـة للعلاقـات بـين الولايـات المتحـدة وإيـران. لكـن من المهـم تسـليط الضوء على حقيقة أن حسن روحاني يدين بالولاء في نهاية المطاف للمرشـد الأعلى آيـة الله علي خامنئي ويخضع دسـتوريًّا لأمـره. فخامنئي هو الذي يسـيطر بشكل كامل عـلى البرنامـج النووي الإيـراني. وبالفعل، هناك شـعور أن خامنئي نفسـه يميل نحـو التفـاوض وعلى اسـتعداد للاسـتماع إلى وجهات نظر مختلفة، لأسـباب عديـدة، منهـا انعـدام الأمـن الاقتصادي في البـلاد والعزلـة والشرعيـة السياسـية، وبقاء النظـام. ويبقـى أن نـرى ما إذا كانت رئاسـة روحـاني سـتوفر المنظـور الـلازم لكسر نهج المـاضي العقيـم والعنيـد، وتديـر علاقاتهـا الدبلوماسية مع الغرب بطريقة بناءة.